ما يقوله الكتاب المقدس عن

« كيف » تتم المعمودية؟
و« من » الذي يعتمد؟ و« لماذا ؟ »

تأليف: دڤيد روپر

قد سبب الموقف تجاه المعمودية إنقساماً بين الذين يدعون بانهم يتبعون يسوع. « يتوحد المسيحيون بصفة عامة في الإيمان بان المعمودية هي وصية، ولكنهم منقسمون في كل وجه من وجهاتها تقريباً ».[1] وجهات المعمودية الثلاث التي أدت إلى هذا الإنقسام هي الطريقة التي يجب أن تتم بها المعمودية، ومن الذي يجب أن يعتمد، والقصد منها. لننظر إلى ما يقوله الكتاب المقدس عن كل من هذه التفاصيل.

ما هي الطريقة التي كانت تتم بها المعمودية؟

يتفق الجميع بان التغطيس {في الماء} مقبول عند الله، ولكن هناك خلاف حول ما إذا كان الله سيقبل رش الماء أو صبه بدلاً من التغطيس {في الماء}.

في كل الأمور ذات العلاقة بالله يجب أن نتبع الطريقة الأكيدة. الكلمة « يعمد » في مفهومها {حسب اللغة الأصلية} تشير إلى التغطيس، وليس رش أو صب.

مع أن القواميس العلمانية تعطي معنى حديث لكلمة « يعمد » على انها تعني « يرش » أو « يصب » أو « يغطس » إلا انها تقول عند اعطاء اتيمولوجيتها (أي عند تحليل أصلها وتاريخها) بان الكلمة اليونانية التي جاءت منها كلمة « يعمد » تعنى « يغمس » أو « يغطس »:

يقول القاموس « The American Heritage Dictionary »: الكلمة « يعمد » هي من أصل الكلمة اليونانية « باپتين βάπτω » تعني يغطس.

ويقول القاموس « The Anchor Bible Dictionary »: الصيغة الفعلية في اللغة اليونانية للكلمة « يعمد » هي « باپتيزين βαπτιξειν » وهي مأخوذة من « باپتين βαπτειν، أي يغمس » وتعني يغمس بالتكرار أو بكثرة.

تتفق جميع القواميس الرئيسية الأخرى مع المعنى: « يغمس » أو « يغطس ».

الكيفية التي كانت تتم بها المعمودية أصلاً هي بتغطيس الجسد كله في الماء، « ولكن منذ القرن الثاني أصبحت هناك وسيلة أخرى مقبولة بطريقة شائعة وهي المعمودية بالصب »[2]؛ « كانت الوسيلة المعمول بها قبل ذلك هي التغطيس، كما توضح ذلك أحواض المعمودية القديمة ».[3]

والغرض من هذه الوسيلة واضح. كتب أندرس نيغرن: « عندما يغطس الشخص الذي يعتمد في الماء، يدل هذا على دفنه مع المسيح؛ وعندما يقوم أيضاً ويصعد من الماء، يدل ذلك على القيامة مع المسيح ».

قال إڤرت هاريسون عن رومية ٦: ٤: « يتضح أن {بولس يصور هنا} الدفن مع المسيح في لحظة تغطيس الجسد تحت مياه المعمودية ».

علق لايتفوت قائلاً: « صدق الأستاذ جووت، أن الرسول {بولس} قدم العبارة « مدفونين » بدلاً من « ميتين » لكي يتذكر صورة المعمودية، أي التوازي الذي يختفي في ممارساتنا الحالية للمعمودية بالرش ».

كتب مارتن لوثر: « الصيغة معمودية هي

---

[1] مقتبس من هارولد ليندسل.

[2] مقتبس من ماسي شپارد الابن.

[3] مقتبس من روبرت سسيل.

من أصل كلمة يونانية يمكن ترجمتها إلى تغطيس: عندما نغطس أي شيء في الماء بحيث يغمره الماء كلياً. ومع أنه قد تم التخلي عن هذه العادة بين الأغلبية (لأنهم لا يغطسون الأطفال بالكامل، بل يرشونهم بقليل من الماء)، إلا انه يجب تغطيسهم في الماء وسحبهم منه حالاً، لأنه يبدو أن أصل هذه الكلمة يتطلب هذا».

أيضاً المفهوم النصي الذي يظهر فيه الكلمة «يعمد» في الكتاب المقدس يشير إلى أن معناها هي «تغطيس»:

> وفي تلك الأيام جاء يسوع ،من ناصرة الجليل واعتمد من يوحنا في الأردن. وللوقت وهو صاعد من الماء رأى السموات قد انشقت والروح مثل حمامة نازلاً عليه (مرقس ١: ٩ و١٠).
>
> وكان يوحنا أيضاً يعمد في عين نون بقرب من ساليم لأنه كان هناك مياه كثيرة وكانوا يأتون ويعتمدون (يوحنا ٣: ٢٣).
>
> ...فنزلا كلاهما إلى الماء فيلبس والخصي فعمده. ولما صعدا من الماء... (أعمال ٨: ٣٨ و٣٩).
>
> فدُفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما أُقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً في جدة الحياة (رومية ٦: ٤).
>
> مدفونين معه في المعمودية التي فيها أقمتم أيضاً معه بإيمان عمل الله الذي أقامه من الأموات (كولوسي ٢: ١٢).

من الذين كانوا يعتمدون؟

الذين كانوا يعتمدون هم الرجال والنساء القادرين على صنع القرار لتكريس حياتهم ليسوع. يشير هذا ومتطلبات المعمودية الأخرى إلى أن المعمودية هي للذين بعمر كافي لفهم ما يفعلونه.

يقول الكتاب المقدس بان الذين يجب أن يعتمدوا هم الذين: (١) يسمعون بشارة الإنجيل (مرقس ١٦: ١٥)، (٢) يؤمنون بالإنجيل (مرقس ١٦: ١٦)، (٣) يتوبوا (أعمال ٢: ٣٨). كان الذين يعتمدون هم رجالاً ونساءً (أعمال ٨: ١٢) الذين قيل عنهم بانهم: (١) سمعوا البشارة (أعمال ٨: ١٢؛ ١٨: ٨)، (٢) قبلوا الرسالة وآمنوا بها (أعمال ٢: ٤١؛ ٨: ١٢؛ ١٦: ٣٣ و٣٤؛ ١٨: ٨). هم الذين من أجل إيمانهم بعمل الله (كولوسي ٢: ١٢)، كانوا يطيعون من القلب (رومية ٦: ١٧ و١٨)، وينهون الحياة القديمة ليبدأوا حياة جديدة مكرسة لإتباع يسوع (رومية ٦: ٤-٧).

لا يستطيع الأطفال فهم المضامين الروحية للمعمودية. ولا يستطيعوا أن يقوموا بالتعهد المطلوب عند المعمودية. المعمودية هي للذين تم تعليمهم وأمنوا بيسوع وصنعوا قراراً ليغيروا حياتهم لكي يحيوا حياة الخدمة ليسوع.

يتكون ملكوت السماوات من الذين هم مثل الأطفال (متى ١٩: ١٤). أنهم غير مولودين خطاة ورثوا خطيئة آدم ولا هم مولودين فاسدين في طبيعتهم كما يتم تعليمه في بعض التعاليم الطائفية.

لم يقل الله بان الإنسان قد صار فاسداً وفاسقاً بعد ما أكل آدم وحواء من شجرة معرفة الخير والشر، بل قال: «هوذا الإنسان قد صار كواحداً منا عارفاً الخير والشر ...» (تكوين ٣: ٢٢). وكان العقاب هو الانفصال عن شجرة الحياة - انفصالهما وانفصال جميع الأجيال القادمة. في آدم نواجه جميعنا الموت الجسدي (١ كورنثوس ١٥: ٢٢)؛ ولكن في العالم الروحي كل منا مسؤول عن حالته الروحية. ستكون دينونتنا على أساس ما نفعل حين كنا في الجسد (٢ كورنثوس ٥: ١٠)، وليس على أساس ما فعل آدم.

ماذا كان القصد من المعمودية؟

معمودية يوحنا والغفران

كانت مهمة يوحنا {المعمدان} هي إعداد الناس لمجيء المسيا (متى ٣: ٣). لم يفعل هذا بما كان يبشر به فحسب، بل أيضاً جعل الناس يأتون إلى المعمودية. لقد ساعدهم ليدركوا أن التلمذة تتطلب تعهداً.

أعدهم عقلياً ليتقبلوا المعمودية كشيء ضروري لنيل غفران الخطايا. يقول إنجيل مرقس ١: ٤ وإنجيل لوقا ٣: ٣ بان يوحنا كان

يكرز «بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا». جاء الشعب إلى معمودية يوحنا معترفين بخطاياهم (متى ٣: ٦) طالبين الغفران.

«لمغفرة الخطايا»

بدأ تعليم الغفران باسم يسوع في أورشليم أولاً بعد موت يسوع وقيامته (لوقا ٢٤: ٤٦ و٤٧). قد تم ذكر الغفران في وقت سابق، ولكن ليس الغفران باسمه. كان بطرس هو أول من بشر بغفران الخطايا باسم يسوع. قال للذين عرفوا حقيقة انهم صلبوا الرب والمسيح: «توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا ...» (أعمال ٢: ٣٨). هذه الرسالة التي كرز بها بطرس في أورشليم هي لجميع الأمم (لوقا ٢٤: ٤٧).

تظهر العبارة: «لغفران الخطايا» أو «لمغفرة الخطايا» في إنجيل متى ٢٦: ٢٨ ومرقس ١: ٤، ولوقا ٣: ٣؛ ٢٤: ٤٧. لا يقول المؤمن الجاد بان يسوع سفك دمه لأن خطايانا كانت قد غفرت من قبل (متى ٢٦: ٢٨) أو بانه يجب أن نتوب لأن خطايانا قد غُفرت سابقاً (لوقا ٢٤: ٤٧). فلماذا إذن يرضى شخص ما بان هذه العبارة نفسها تعني شيء آخر غير «لكي يتم غفران الخطايا» في أعمال الرسل ٢: ٣٨؟ تقول بعض المخطوطات في إنجيل لوقا ٢٤: ٤٧: «ومغفرة الخطايا» {كما في الترجمة العربية} بدلاً من «لمغفرة الخطايا»، ولكن يُعتقد أن استخدام الحرف «و» (اليونانية: كاي καί) له اعتماد أقل من «ل» (اليونانية: إيس εἰς) {ويعني في اللغة الأصلية: «لكي» أو «من أجل الحصول على»}.

عند ربط التوبة بالمعمودية بالحرف «و» في أعمال الرسل ٢: ٣٨ يدل على أن كلاهما للغرض نفسه، أي «غفران الخطايا». السبب الرئيسي الذي جعل البعض يحاولون أن يتهربوا من تصريح بطرس، هو انهم لا يريدون أن يؤمنوا بان المعمودية ضرورية للخلاص. الطريقة الطبيعية جداً لفهم الكلمة «إيس εἰς» في هذا النص هي انها تعني «لكي تنال»، كما تُرجمت في نصوص أُخرى في العهد الجديد.

الحرف «ل» في عبارة «لمغفرة الخطايا/ لغفران الخطايا» كما في إنجيل متى ٢٦: ٢٨؛ مرقس ١: ٤؛ لوقا ٣: ٣؛ أعمال ٢: ٣٨) والحرف «و» في العبارة «ومغفرة الخطايا» في (لوقا ٢٤: ٤٧) هما ترجمة لكلمة واحدة وهي: «إيس εἰς». كتب لايتفوت بما يختص بالكلمة «إيس εἰς» في رومية ٦: ٣ ما يلي «يدل الحرف {ل} على فكرة الاندماج في»؛ ثم قال: «... في إنجيل مرقس ١: ٤ يدل معنى الحرف {ل} في العبارة εἰς ἄφεσιν αμαρτιῶν {أي «لمغفرة الخطايا»} ... يدل على القصد من المعمودية ونتيجتها».

قال شارلس هوتج بان الكلمة «إيس εἰς» في إنجيل مرقس ١: ٤ تعني «لكي يتم الحصول على غفران الخطايا».

كتب دوغلاس مو: «المكان الوحيد الذي ظهرت فيه الكلمة إيس εἰς بعد الكلمة باپتيزو ἐβαπτισθη في العهد الجديد» لها مفهوم جغرافي محلي (مرقس ١: ٩ {في نهر الأردن}) أو يشير إلى القصد/ النتيجة (متى ٣: ١١ وأعمال ٢: ٣٨ {لغفران الخطايا})؛ ...

يشدد البعض على أن الذي يتم تعميده لا يحتاج إلى معرفة القصد من معموديته. يقولون بانه إذا أعتمد الشخص ليطيع الله (ما إذا كان يفهم القصد من المعمودية أم لا) ستُغفر له خطاياه. يقال بان الغفران هو الجزء الذي يقوم به الله وبان المعمودية هي الجزء الذي يقوم به الإنسان. تتغاضى وجهة النظر هذه عن الحقيقة أن القصد من المعمودية هو أيضاً دور الإنسان في ذلك.

إذا جرح الزوج مشاعر زوجته فقالت له: «سأسامحك إذا أهديتني باقة من الورود الحمراء». يمكنه أن يعطيها الورود لكي تغفر له. انه يقدم الورود لكي يحصل على الصفح. يكون الصفح الجزء الذي تقوم به {الزوجة}، ولكن اهداء الورود للحصول على ذلك الصفح يكون دورالزوج.

الاعتراض هو لو لم يكن من الضروري الفهم بان الروح القدس يُعطى عند المعمودية فلا يكون من الضروري الفهم بان المغفرة هي القصد من المعمودية. القصد من المعمودية هو الحصول

على غفران الخطايا. يُعطى الروح القدس للذين غُفرت لهم عند المعمودية. بما أن المعمودية هي لغفران الخطايا فينبغي أن نفهم القصد من معموديتنا. وبالتباين، لما كان يجب فهم عطية الروح القدس، لو كانت المعمودية ليست من أجل الحصول على الروح القدس.

قد تقول الزوجة المجروحة المشاعر: «اهديني باقة الورود حتى اصفح عنك وأُقبّلك». يمكن للزوج أن يعطي الورود من أجل الحصول على الصفح ومن ثم ينال القُبلة لأنه قد صُفح عنه. علينا أن نعتمد لكي نحصل على الغفران؛ ثم ننال الروح القدس لأنه قد غُفر لنا.

قال بطرس لليهود في يوم الخمسين بأن عليهم ان يتوبوا ويعتمدوا لكي تُغفر لهم خطاياهم، وبعد ذلك ينالوا الروح القدس كعطية.

معمودية يسوع

يعلم البعض بان يسوع بصفته مثالاً لنا كان بلا خطيئة عندما اعتمد، مما يعني أنه لا بد أننا قد نلنا الغفران مسبقاً، وصرنا بلا خطيئة عند المعمودية.

يسوع هو مثالنا في اننا يجب أن نركض في السباق وعيوننا مثبة عليه (عبرانيين ١٢: ٢). علينا أن نسلك كما سلك هو، وليكن فينا هذا الفكر الذي في المسيح، ونقتدي ببولس كما يقتدي هو بالمسيح (١ يوحنا ٢: ٦؛ فيلبي ٢: ٥؛ ١ كورنثوس ١١: ١). كتب بطرس بان يسوع هو مثالاً لنا في الآلام لأجل البر (١ بطرس ٢: ٢١). كما وضع يسوع حياته هكذا يجب أن نضع نحن حياتنا لأجل الإخوة (١ يوحنا ٣: ١٦).

كون أن يسوع مثالاً لنا هل يعني بالضرورة أن نفعل كل ما فعل، ومن أجل الهدف نفسه؟ قد ترشدنا القواعد التالية في جهودنا لإتباع مثاله.

أولاً: بعض الأشياء التي عملها كانت عرضية أو تصادفية وليست بالضرورة نموذجاً لنتبعه. فقد فضل أن لا يتزوج. لم يخلف أولاد ولم يكن له بيتاً (لوقا ٩: ٥٨). لقد اعتمد وبدأ يبشر عندما كان في الثلاثين من عمره، اختار اثني عشر رسولاً ليكونوا ممثليه (لوقا ٣: ٢١-٢٤؛ ٦: ١٣). بدلاً من أن يدعم نفسه بنفسه، كان يستلم دعم مالي من الآخرين لكي يقضي وقته في التعليم (لوقا ٨: ٣).

ثانياً: بعض الأشياء التي عملها هي أمثلة من حيث المبدأ غير مطلوب منا أن نعملها. أُختتن بحسب الناموس (لوقا ٢: ٢١)، ولكن هذا غير مفروض علينا (غلاطية ٦: ١٥). بعد معموديته صام لمدة أربعين يوماً؛ ثم بدأ خدمته التبشيرية (متى ٤: ٢). كان يبشر في المجامع في السبت (لوقا ٤: ١٦ ، ٣١ ، ٤٤؛ ٦: ٦)، احتفل بعيد الفصح (لوقا ٢٢: ١٥ و١٦)، وأوصى اليهود أن يقدموا ذبائح حيوانية ويعملوا بوصايا العهد القديم (متى ١٩: ١٧؛ لوقا ٥: ١٤؛ ١٧: ١٤). لقد أطاع الناموس الذي وُلد تحته كمثال للكيفية التي يجب أن نطيع بها مشيئة الله (غلاطية ٤: ٤). مارس يسوع كل هذه الأشياء، ولكنها غير ملزمة لنا اليوم (غلاطية ٣: ٢٤ و٢٥؛ عبرانيين ٧: ١٢ و١٩؛ ١٠: ٩).

ثالثاً: بعض الأشياء التي عملها يسوع يجب أن نتبعها من حيث المبدأ وليس الفعل نفسه. دفع يسوع الضريبة بالقطعة النقدية التي أخذها بطرس من فم سمكة (متى ١٧: ٢٤-٢٧). يجب أن ندفع الضرائب (رومية ١٣: ٦)، ولكن ليس بالضرورة بنقود من فم سمكة. لقد غسل أقدام التلاميذ وكان يضرب مثالاً في التواضع (يوحنا ١٣: ٥-١٥)، وكان على تلاميذه أن يتبعوا هذا من حيث المبدأ وليس بالضرورة أن يكون ممارسة هذا العمل نفسه.

رابعاً: بعض الأشياء التي عملها يسوع يجب إتباعها بالممارسة ولكن لهدف مختلف. احتفل يسوع بالعشاء الرباني كمثال، وليس ليذكر به نفسه (١ كورنثوس ١١: ٢٣-٢٥). لقد بين أن نضع حياتنا لأجل الآخرين (١ بطرس ٢: ٢١؛ ١ يوحنا ٣: ١٦). قد نموت لأجل الآخرين، ولكن ليس للهدف نفسه الذي سفك يسوع دمه من أجله (متى ٢٦: ٢٨).

ينبغي أن نعتمد، ولكن ليس للهدف نفسه الذي اعتمد يسوع من أجله. لقد نال معمودية يوحنا. كان يوحنا يكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا (مرقس ١: ٤؛ لوقا ٣: ٣). الذين قبلوا تلك المعمودية جاءوا معترفين بخطاياهم (متى ٣: ٦)، مما يدل على انهم كانوا يطلبون

الغفران الذي كان يبشر به يوحنا. لم يعتمد يسوع بصفته خاطيء تائب لكي ينال الغفران كجميع الناس الآخرين الذين جاءوا إلى معمودية يوحنا.

لا يمكن ان نحسب يسوع مثالاً حقيقياً لنا في المعمودية لأنه لم يخطيء؛ إذن انه لم يتب عن خطاياه. اعتمد يسوع لكي يكمل كل بر. المعمودية التي نالها يسوع ليست من أجلنا. لقد نال معمودية يوحنا. لو كنا نعتمد اليوم بمعمودية يوحنا كما فعل يسوع، لكان علينا أن نعتمد مرة أخرى (أنظر أعمال ١٩: ١-٥).

كان القصد من معمودية يسوع هو تكميل كل بر (متى ٣: ١٥). هو وحده الذي يمكن أن يعتمد لهذا الهدف. انه أدرك القصد من معموديته كما يجب لنا أن ندرك القصد من معموديتنا. معموديته هي مثالاً لنا في ما يجب أن نعمل، ولكن ليست مثالاً في السبب الذي من أجله ينبغي أن نعتمد. بما أن كل ما فعل هو بر ولم تكن له خطيئة، يمكن له أن يعتمد ليكمل كل بر. في بعض الأشياء يكون يسوع مثالاً لنا في ما يجب أن نعمل ولكن ليس مثالاً في السبب الذي من أجله يجب أن نعمله.

خامساً: في بعض الأشياء يكون يسوع مثالاً لنا من حيث المبدأ والممارسة والهدف. تأمل على سبيل المثال محبته وخدمته وعطفه والتضحية بالنفس (رومية ١٥: ٢ و٣). علينا أن نتبعه تماماً في كل هذه الطرق.

الخلاصة

ينبغي أن نفهم بان القصد من المعمودية هو الحصول على مغفرة الخطايا. أوصى بها يسوع؛ كرز بها بطرس والرسل؛ وبذلك ينبغي أن نعمل بها.

تم تلخيص المعمودية بهذه الطريقة: «من إحدى الشعائر المثيرة التي كان المسيحيون الأوائل يمارسونها هي المعمودية. كان هدفها هو غسل كل نجاسة ناتجة من الخطيئة. وبهذا تجهز العضو الجديد لحياته الجديدة أو العضوة الجديدة لحياتها الجديدة. بهذا الشكل الأساسي، كانت المراسيم تطالب الشخص الذي يريد أن يعتمد بأن يعترف بإيمانه وبعد ذلك يتم تغطيسه كاملاً في الماء باسم يسوع المسيح» (مقتبس من غايل ڤيسالي).

مشاركة روحية في المعمودية

للمعمودية صلة بالخلاص. هي عمل الإيمان الذي يجد مكافأة بسبب الإيمان الذي يحث ذلك العمل (أعمال ٢: ٣٨؛ كولوسي ٢: ١٢). لكي تكون المعمودية سارية المفعول، يجب على الذي سيعتمد أن يشارك روحياً. ويجب أن يعرف أن خطاياه السابقة تغفر له {أثناء المعمودية}. يجب أن يفهم بان هذا الدفن والقيامة الروحية يضعان النهاية للحياة القديمة - وبانه يدخل في علاقة جديدة مع يسوع ويقبل ربانيته.

حدث موت يسوع من أجل خطايانا بسبب ما فعله له الآخرون في موته ودفنه وقيامته. وبطريقة مماثلة جاء خلاصنا بواسطة ما يفعله شخص آخر لنا بدفننا وقيامتنا عند المعمودية. في الوقت الذي يحدث هذا لنا جسدياً تشارك قلوبنا روحياً به ونحن واثقين ان دم المسيح يطهرنا من خطايانا (رومية ٣: ٢٥).

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧